فلسفة السعادة عند مسكويه
دراسة تحليلية مقارنة في ضوء الفكر الأخلاقي الإسلامي

د . سدير طارق علي
كلية التربية الأساسية / الجامعة المستنصرية

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة فلسفة السعادة عند الفيلسوف الإسلامي مسكويه، من خلال تحليل مفهوم السعادة وأسسها الأخلاقية والعقلية، وبيان الوسائل المؤدية إليها في ضوء الفكر الإسلامي. كما يسعى البحث إلى إبراز العلاقة بين السعادة وتهذيب النفس، ودور الفضائل في تحقيق الكمال الإنساني، مع إجراء مقارنة بين رؤية مسكويه وبعض الفلاسفة كأرسطو والفارابي. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، مستندًا إلى مصادر فلسفية عربية أصيلة. وتوصل البحث إلى أن السعادة عند مسكويه ليست لذة حسية، بل هي حالة عقلية أخلاقية تتحقق من خلال الاعتدال واكتساب الفضائل.

الكلمات المفتاحية :السعادة، مسكويه، الأخلاق، الفضيلة، الفلسفة الإسلامية.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

تُعدّ مسألة السعادة من أقدم القضايا الفلسفية التي شغلت فكر الإنسان منذ العصور اليونانية وحتى الفلسفة الإسلامية، إذ ارتبطت بغاية الوجود الإنساني ومعنى الحياة الكاملة. وقد سعى الفلاسفة إلى تحديد ماهية السعادة وبيان سبل تحقيقها، فظهرت تصورات متعددة اختلفت باختلاف المرجعيات الفكرية والثقافية. وفي هذا السياق، يبرز الفيلسوف أحمد بن محمد مسكويه بوصفه أحد أبرز أعلام الفلسفة الأخلاقية في التراث الإسلامي، حيث قدّم تصورًا متكاملًا للسعادة قائمًا على تهذيب النفس وتحقيق التوازن الأخلاقي. لقد تأثر مسكويه بالفلسفة اليونانية، ولا سيما بفكر أرسطو، وكذلك تأثر بالفعل بفلاسفة المسلمين، ولكن تأثره كان جزئيًا وتكامليًا، إذ جمع بين التراث اليوناني والفكر الإسلامي، فكوّن رؤية أخلاقية خاصة به.ومن ابرز الذين تاثر بهم الفارابي وابن سينا ولكنه لم يكتفِ بالنقل، بل أعاد صياغة المفاهيم الأخلاقية في إطار إسلامي يجمع بين العقل والنقل، مما جعل فلسفته الأخلاقية ذات طابع مميز داخل الفكر الإسلامي. وتكمن أهمية دراسة فلسفة السعادة عند مسكويه في كونها تمثل محاولة جادة للتوفيق بين البعد العقلي والبعد الأخلاقي، حيث جعل السعادة غاية قصوى تتحقق من خلال اكتساب الفضائل وضبط الشهوات، لا من خلال اللذات الحسية الزائلة.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب:

1. أهمية علمية :يسهم البحث في إثراء الدراسات الفلسفية حول موضوع السعادة في التراث الإسلامي، ويعزز الفهم الأكاديمي لفلسفة مسكويه مقارنة بالفلاسفة المسلمين وغير المسلمين.

2. أهمية أخلاقية وتربوية :يقدم البحث تصورًا عمليًا لتهذيب النفس وممارسة الفضائل، مما يمكن تطبيقه في التربية الأخلاقية وتنمية الشخصية الإنسانية.
3. أهمية اجتماعية :يوضح البحث دور العلاقات الإنسانية والصداقة الفضيلة في تحقيق السعادة الفردية والجماعية، مما يساعد في تحسين التفاعل الاجتماعي.
4. أهمية عملية :يمكن الاستفادة من نتائج البحث في برامج التنمية الذاتية والتوجيه النفسي والتربوي، خاصة في السياقات التعليمية والمجتمعية.

مشكلة البحث

تتمحور مشكلة البحث حول التساؤل الرئيس :ما مفهوم السعادة عند مسكويه؟ وما الوسائل التي وضعها لتحقيقها؟ .وتنشأ عن هذا التساؤل مجموعة من الإشكاليات الفرعية، منها:
1. ما طبيعة السعادة عند مسكويه، وهل هي عقلية، أخلاقية، أم حسية؟
2. كيف ترتبط الفضائل والأخلاق بتحقيق السعادة في فلسفة مسكويه؟
3. ما دور تهذيب النفس والعقل في الوصول إلى السعادة؟
4. ما العلاقة بين السعادة الفردية والاجتماعية وفق فلسفته؟
5. كيف تتقاطع فلسفة مسكويه مع فلسفة فلاسفة آخرين مثل أرسطو والفارابي في مفهوم السعادة؟

تهدف هذه المشكلة إلى توضيح العمق الفلسفي لفكرة السعادة عند مسكويه، وربطها بالبعد الأخلاقي والاجتماعي في حياة الإنسان، مع بيان أوجه التشابه والاختلاف مع فلاسفة آخرين، مما يسهم في فهم أوسع لدور الأخلاق والفكر العقلاني في تحقيق السعادة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية، منها:
1. تحليل مفهوم السعادة عند مسكويه، وفهم طبيعتها ومكوناتها الأساسية.
2. بيان العلاقة بين الفضائل الأخلاقية والسعادة، وكيفية ارتباطها بالتهذيب النفسي والتوازن الداخلي.
3. توضيح الوسائل العملية لتحقيق السعادة وفق فلسفة مسكويه، بما يشمل العقل، الحكمة، والصداقة القائمة على الفضيلة.
4. مقارنة فلسفة مسكويه بفلاسفة آخرين مثل أرسطو والفارابي، لتسليط الضوء على أوجه التشابه والاختلاف.
5. إبراز البعد الاجتماعي للسعادة وأثر العلاقات الأخلاقية في تعزيزها على المستوى الفردي والجماعي.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على دراسة النصوص الفلسفية لمسكويه، خاصة كتابه *تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق*، وتحليل مفاهيمه المتعلقة بالسعادة والفضائل وتهذيب النفس. كما يستخدم البحث المنهج المقارن عند دراسة العلاقة بين فلسفة مسكويه وأفكار فلاسفة

آخرين مثل أرسطو والفارابي، وذلك لتوضيح أوجه التشابه والاختلاف واستنتاج النتائج بشكل أكاديمي منهجي.

المبحث الأول
الإطار العام لفكر مسكويه

المطلب الأول
حياته ونشأته

يُعد مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب) من أبرز فلاسفة الأخلاق في الفكر الإسلامي، وقد وُلد في القرن الرابع الهجري (حوالي سنة 320هـ / 932م)، ويرجّح أنه وُلد في بلاد فارس، وعاش في بيئة علمية وثقافية نشطة، ساعدته على التكوين الفكري المبكر.

وقد نشأ مسكويه في عصر ازدهرت فيه العلوم والفلسفة، خاصة في ظل الدولة البويهية، التي كانت تهتم برعاية العلماء والمفكرين. وقد عمل في بلاط عدد من الوزراء، مثل ابن العميد، الأمر الذي أتاح له الاطلاع على مختلف العلوم، وخاصة الفلسفة والطب والتاريخ.

وقد تميز مسكويه منذ صغره بحب العلم والمعرفة، مما دفعه إلى التوسع في دراسة العلوم العقلية والنقلية، وهو ما ساهم في تكوين شخصيته الفلسفية، خاصة في مجال الأخلاق [i].

رحلاته وطلبه للعلم

لم يكن مسكويه من العلماء الذين اكتفوا بالتلقي في مكان واحد، بل سعى إلى طلب العلم والتنقل بين مراكز الحضارة الإسلامية، حيث كانت المدن الكبرى مثل بغداد والري مراكز علمية مزدهرة.

وقد ساعده عمله في الدواوين على الاحتكاك بالعلماء والمفكرين، كما أتاح له الاطلاع على التراث اليوناني المترجم، وخاصة كتب أرسطو، التي كان لها أثر واضح في تشكيل رؤيته الأخلاقية.

كما يُلاحظ أن مسكويه لم يكن مجرد ناقل للعلم، بل كان باحثًا ومحللًا، حيث سعى إلى فهم الفلسفة اليونانية وإعادة صياغتها بما يتناسب مع القيم الإسلامية، وهو ما يظهر بوضوح في مؤلفاته الأخلاقية [ii].

شيوخه والعلماء الذين تتلمذ على ايديهم

تتلمذ مسكويه على عدد من العلماء، وتأثر بعدة شخصيات علمية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ومن أبرزهم:

* علماء الفلسفة المترجمة عن اليونانية، وخاصة شروح أرسطو
* تأثر بأفكار الفارابي في الربط بين السعادة والكمال الإنساني
* كما تأثر بالبيئة العلمية التي ضمت علماء في مختلف المجالات، مثل الطب والتاريخ

ورغم قلة المعلومات الدقيقة عن شيوخه المباشرين، إلا أن مؤلفاته تدل على سعة اطلاعه وتأثره العميق بالفكر الفلسفي اليوناني والإسلامي على حد سواء [iii].

كما ارتبط مسكويه بعلاقات علمية مع عدد من العلماء والمفكرين في عصره، مما ساعد على نضوج فكره الفلسفي، وجعل إنتاجه يعكس تفاعلًا حقيقيًا بين الثقافات المختلفة، اليونانية والفارسية والإسلامية [iv] .

مؤلفاته

ترك مسكويه عددًا من المؤلفات المهمة التي تعكس اهتمامه بالفلسفة والأخلاق والتاريخ، ومن أبرزها:

1. كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق

يُعد أهم كتبه، حيث تناول فيه موضوع الأخلاق والسعادة، ويُعتبر من أهم الكتب في الفلسفة الأخلاقية الإسلامية.

2. كتاب الفوز الأصغر

يتناول فيه مفهوم السعادة والكمال الإنساني بصورة مختصرة.

3. كتاب تجارب الأمم

وهو كتاب تاريخي يعرض فيه أحداثًا تاريخية وتحليلات سياسية.

4. كتاب ترتيب السعادات

يعالج فيه مراتب السعادة ووسائل تحقيقها.

تدل هذه المؤلفات على أن مسكويه لم يكن فيلسوفًا نظريًا فقط، بل كان مفكرًا موسوعيًا جمع بين الأخلاق والتاريخ والفلسفة.

وفاته

توفي مسكويه سنة 421هـ / 1030م، بعد حياة حافلة بالعلم والعطاء الفكري. وقد ترك أثرًا كبيرًا في الفلسفة الإسلامية، خاصة في مجال الأخلاق، حيث يُعد من أوائل من وضعوا نظرية متكاملة في الأخلاق قائمة على العقل والفضيلة.وقد استمر تأثيره في الفلاسفة الذين جاءوا بعده، حيث استفادوا من آرائه في تطوير الفكر الأخلاقي الإسلامي. يتضح مما سبق أن مسكويه قد نشأ في بيئة علمية متميزة، وأسهمت رحلاته واحتكاكه بالعلماء في تكوين شخصيته الفكرية، كما أن مؤلفاته تعكس عمق اهتمامه بالفلسفة الأخلاقية. وقد شكلت هذه العوامل مجتمعة الأساس الذي انطلقت منه فلسفته في السعادة، والتي تقوم على التوازن بين العقل والأخلاق.

المطلب الثاني

مصادر فلسفة مسكويه

استمدّ مسكويه فلسفته من عدة مصادر أساسية، كان أبرزها الفلسفة اليونانية، حيث تأثر بشكل واضح بأفكار أرسطو في الأخلاق، خاصة فيما يتعلق بمفهوم الفضيلة بوصفها وسطًا بين طرفين [v] .

كما تأثر أيضًا بأفكار أفلاطون، خاصة في تقسيم النفس الإنسانية إلى قوى متعددة، وضرورة تحقيق التوازن بينها للوصول إلى السعادة [vi] .

إلى جانب ذلك، تأثرت فلسفة مسكويه بالمصادر الإسلامية، حيث استند إلى القيم الأخلاقية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، مما أضفى على فلسفته طابعًا دينيًا واضحًا، وجعلها أقرب إلى الواقع الإسلامي [vii] . ولا يمكن إغفال دور التجربة الشخصية والعقل في تشكيل فلسفة مسكويه، حيث اعتمد على التحليل العقلي والتأمل في النفس الإنسانية، مما جعله يقدم تصورًا عمليًا للأخلاق قائمًا على التجربة والمعرفة [viii] .

المبحث الثاني

المفهوم العام للسعادة
ومفهومهاعند مسكويه

تُعد السعادة من المفاهيم الأساسية التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم، وقد تعددت تعريفاتها تبعًا لاختلاف الاتجاهات الفلسفية والدينية. فهي في معناها العام تشير إلى حالة من الرضا والطمأنينة النفسية التي يشعر بها الإنسان نتيجة تحقيقه لغاياته ورغباته، أو بلوغه حالة من التوازن الداخلي والانسجام مع ذاته ومحيطه.

وقد نظر الفلاسفة إلى السعادة بوصفها الغاية القصوى للحياة الإنسانية، حيث رأى أرسطو أنها تتمثل في تحقيق الفضيلة وممارسة العقل، في حين ربطها بعض المفكرين باللذة، بينما أكد آخرون على بعدها الروحي والأخلاقي. ومن هنا، يتضح أن السعادة ليست مفهومًا بسيطًا، بل هي حالة مركبة تتداخل فيها الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية.

المطلب الأول
تعريف السعادة

يُقيم أحمد بن محمد مسكويه تصوره للسعادة على أساس أنها الغاية القصوى التي يسعى إليها الإنسان في وجوده، فهي الكمال الذي تتحقق به إنسانيته، وليست مجرد حالة عابرة من اللذة أو السرور. فالسعادة عنده ترتبط بكمال النفس لا بإشباع الجسد، ولذلك يميز بوضوح بين السعادة الحقيقية واللذات الحسية الزائلة [ix] . ويؤكد مسكويه هذا المعنى بقوله: "السعادة هي الخير المطلوب لذاته، وليس يُطلب لشيءٍ آخر"، مما يدل على أنها الغاية النهائية للوجود الإنساني [x] .

ويؤكد مسكويه أن السعادة لا تتحقق إلا عندما تبلغ النفس مرتبة الاعتدال والانسجام بين قواها المختلفة، بحيث يسيطر العقل على باقي القوى، فتخضع الشهوة والغضب لتوجيهه، وبذلك يتحقق التوازن الداخلي للإنسان [xi] . ومن هذا المنطلق، فإن السعادة عند مسكويه ليست أمرًا خارجيًا يُمنح للإنسان، بل هي حالة داخلية تنشأ من تهذيب النفس واكتساب الفضائل، مما يجعلها أقرب إلى كونها إنجازًا أخلاقيًا وعقليًا في آنٍ واحد [xii] . كما يرفض مسكويه حصر السعادة في اللذة الحسية، ويرى أن هذا التصور قاصر، لأن اللذات الجسدية مؤقتة ومتغيرة، بينما السعادة الحقيقية ثابتة ودائمة، وترتبط بالعقل والمعرفة [xiii] .

المطلب الثاني

طبيعة السعادة

يرى أحمد بن محمد مسكويه أن السعادة ذات طبيعة عقلية بالدرجة الأولى، فهي تتحقق عندما تدرك النفس الحقائق وتصل إلى المعرفة الصحيحة، مما يرفعها إلى مرتبة الكمال الإنساني. ولذلك فإن الجهل يُعدّ من أكبر العوائق أمام تحقيق السعادة [xiv] . ويرتبط هذا التصور بفكرة أن الإنسان كائن عاقل، وأن كماله الحقيقي يكمن في استخدام عقله استخدامًا صحيحًا، لا في الانغماس في الشهوات. ومن هنا، فإن السعادة تتجسد في ممارسة التفكير والتأمل، والسعي نحو المعرفة والحكمة [xv] .

كما يؤكد مسكويه أن السعادة تتدرج بحسب مراتب الناس، فليست جميع النفوس قادرة على بلوغ الدرجة العليا منها، إذ تختلف قدرات الأفراد في تحصيل المعرفة وتهذيب النفس، مما يجعل السعادة درجات متفاوتة [xvi] . ومن جهة أخرى، فإن السعادة عند مسكويه لا تنفصل عن البعد الأخلاقي، بل هي نتيجة طبيعية لاكتساب الفضائل، مثل الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، وهي الفضائل التي تُحقق التوازن للنفس الإنسانية [xvii] .

ويؤكد ذلك بقوله: "ليست السعادة في اللذات البدنية، فإنها مشتركة بين الإنسان وسائر الحيوان"، وهو ما يبرز البعد العقلي والأخلاقي للسعادة [xviii] .

ولتوضيح تصور مسكويه للفضائل وعلاقتها بالسعادة بشكل عملي، يمكن عرضها في الجداول الآتية":

جدول (1))مسكويه، *تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق*، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966، ص 102–120؛ موسى، *فلسفة الأخلاق في الإسلام*، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1963، ص 110

الفضيلة	التعريف عند مسكويه	دورها في تحقيق السعادة	مثال تطبيقي
الحكمة	إدراك الأمور على حقيقتها، والقدرة على التمييز بين الخير والشر	تقود النفس نحو الكمال العقلي وتجنب الأخطاء	شخص يتخذ قراراته بعد تفكير وتأمل بعيدًا عن التسرع
الشجاعة	الاعتدال في قوة الغضب، دون إفراط أو تفريط	تمنح الإنسان القدرة على مواجهة الصعوبات دون خوف أو تهور	موظف يدافع عن الحق دون خوف أو عدوان
العفة	ضبط الشهوات والتحكم في الرغبات الحسية	تحقق التوازن النفسي وتمنع الانغماس في اللذات الزائلة	شخص يعتدل في الطعام والإنفاق ويتجنب الإسراف
العدالة	التوازن بين قوى النفس وإعطاء كل ذي حق حقه	تحقق الانسجام الداخلي والخارجي مع المجتمع	شخص يعامل الآخرين بإنصاف دون ظلم أو تحيز

جدول (2) مسكويه، *تهذيب الأخلاق*، مصدر سابق، ص 120؛ مدكور، *في الفلسفة الإسلامية*، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص 165

أثر الاختلال	أثر التوازن	الفضيلة المرتبطة بها	وصفها	قوة النفس
الجهل والضلال	تحقيق المعرفة والسعادة العقلية	الحكمة	مسؤولة عن التفكير والإدراك	القوة العاقلة
التهور أو الجبن	ضبط النفس والثبات	الشجاعة	مرتبطة بالدفاع والانفعال	القوة الغضبية
الإفراط أو الحرمان	الاعتدال والتوازن	العفة	مرتبطة بالرغبات واللذات	القوة الشهوانية
الصراع الداخلي	السعادة الكاملة	العدالة	انسجام القوى الثلاث	توازن القوى

جدول (3) مسكويه، *تهذيب الأخلاق*، مصدر سابق، ص 140–155؛ دراز، *دستور الأخلاق في القرآن*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1973، ص 70

مثال عملي	أثرها في السعادة	شرحها	الوسيلة
طالب يسعى للعلم بانتظام	تنمية العقل وتحقيق الحكمة	اكتساب العلم والفهم الصحيح	التعليم والمعرفة
شخص يعتاد الصدق في كل مواقفه	تثبيت الفضائل في النفس	تكرار السلوك الفاضل حتى يصبح عادة	التدريب والاعتياد
صديق صالح يشجع على الخير	تعزيز القيم الأخلاقية	التأثر بالبيئة الصالحة	مصاحبة الأخيار
شخص يراجع أفعاله يوميًا	تهذيب النفس باستمرار	مراجعة السلوك وتصحيحه	محاسبة النفس

جدول (4) بدوي، *تاريخ الفلسفة في الإسلام*، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 225؛ فاخوري &الجر، *تاريخ الفلسفة العربية*، دار الجيل، بيروت، 1991، ص 210

النتيجة	أثره على الإنسان	وصفه	المعوق
الشقاء والانحراف	سوء اتخاذ القرار	غياب المعرفة والحكمة	الجهل
عدم الاستقرار	فقدان التوازن النفسي	الانغماس في اللذات	الإفراط في الشهوات
الفشل الأخلاقي	الانقياد للعواطف	عدم القدرة على ضبط النفس	ضعف الإرادة
الابتعاد عن السعادة	اكتساب عادات سيئة	التأثر بالمجتمع السلبي	البيئة الفاسدة

المبحث الثالث
العلاقة بين الأخلاق والسعادة

تُعد الأخلاق من الركائز الأساسية في بناء حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، إذ تمثل الإطار الذي يوجه سلوك الإنسان ويحدد علاقته بذاته وبالآخرين. ولا تقتصر الأخلاق على كونها مجموعة من القواعد أو المعايير، بل هي منظومة متكاملة تهدف إلى تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي، وتوجيه الإنسان نحو الخير والكمال. وقد أولت الفلسفات المختلفة اهتمامًا بالغًا بالأخلاق، حيث ربطت بينها وبين مفهوم السعادة، إذ لا يمكن تحقيق السعادة الحقيقية إلا من خلال الالتزام بالقيم الأخلاقية وممارسة الفضائل. وفي هذا السياق، يرى أرسطو أن السعادة تتحقق من خلال ممارسة الفضيلة، وأن الإنسان الفاضل هو الذي يبلغ الكمال الإنساني.

وتنقسم الفضائل الأخلاقية إلى أنواع متعددة، أبرزها: الفضائل العقلية مثل الحكمة، والفضائل النفسية مثل الشجاعة والعفة، والفضائل الاجتماعية مثل العدالة. وتمثل هذه الفضائل بمجموعها أساس تحقيق التوازن بين قوى النفس، وهو ما يؤدي في النهاية إلى بلوغ السعادة.

ومن هنا، يتضح أن العلاقة بين الأخلاق والسعادة هي علاقة وثيقة، إذ تُعد الأخلاق الطريق الأساسي الذي يسلكه الإنسان للوصول إلى السعادة الحقيقية، وهو ما سيتجلى بوضوح في فلسفة مسكويه التي قامت على ربط السعادة بتهذيب النفس واكتساب الفضائل.

المطلب الأول
دور الفضيلة في تحقيق السعادة

يشدد مسكويه على أن الفضيلة ليست مجرد خلق معنوي نظري، بل هي سلوك عملي يتجلى في أفعال الإنسان اليومية. ويبين أن كل فضيلة أخلاقية تسهم في تحقيق توازن النفس، وبالتالي تقرب الإنسان من السعادة الحقيقية.

- **الحكمة :** هي القدرة على الحكم الصائب واتخاذ القرارات الصحيحة، وتساعد الإنسان على تجنب الانحرافات، سواء في التعامل مع النفس أو مع الآخرين. يقول مسكويه: «الحكمة تهدي النفس إلى ما يصلحها، وتصرفها عن ما يفسدها» [xix].
- **الشجاعة :** فضيلة التحكم في المخاوف والتصرف بعزم في المواقف الصعبة، وهي ضرورية للحفاظ على الكرامة والاستقلال النفسي، وهو ما يجعل الإنسان قادرًا على مواجهة تحديات الحياة بثقة [xx].
- **العدالة :** تشمل العدل في التعامل مع النفس والآخرين، وهي شرط رئيس للسعادة، لأنها تمنع الصراعات الداخلية والخارجية، وتحقق انسجام الإنسان مع المجتمع [xxi].
- **العفة والاعتدال :** التحكم في الشهوات وعدم الإفراط أو التفريط، فالنفس التي تنقاد لشهواتها لا تصل إلى السعادة، بينما الاعتدال يضمن توازن القوى الداخلية [xxii].

ويؤكد مسكويه مفهوم الاعتدال بقوله: "الفضيلة هي الوسط بين طرفين مذمومين"، مما يدل على أن السعادة تتحقق من خلال التوازن الأخلاقي [xxiii].

مثال عملي: وفق مسكويه، فإن الطالب الذي يوازن بين دراسته ووقته للراحة والنشاط الاجتماعي، ويمارس الاعتدال في الطعام واللذة، يكون أكثر قدرة على الشعور بالرضا الداخلي، أي أنه يمارس الفضائل العملية التي تقوده إلى السعادة [xxiv].

المطلب الثاني

تهذيب النفس وأثره في السعادة

يهتم مسكويه بمفهوم **تهذيب النفس** كركيزة أساسية لتحقيق السعادة. فهو يرى أن النفس البشرية تتكون من ثلاثة أركان رئيسية:

1. **العقل :** القوة العليا التي تهدف إلى معرفة الحقائق والتمييز بين الخير والشر.
2. **الغضب :** القوة التي تحفز النفس على الدفاع عن الحق، شرط أن تكون مضبوطة بالعقل.
3. **الشهوة :** الرغبات الجسدية والحسية التي يجب توجيهها وتهذيبها.

ويؤكد أن تهذيب هذه القوى يتم من خلال التدريب المستمر والاعتياد على السلوك الفاضل، حيث يصبح الإنسان قادرًا على التحكم في شهواته وعواطفه، ويعيش حياة متوازنة تحقق له السعادة [xxv].

ويشير مسكويه إلى أهمية تهذيب النفس بقوله: "النفس إذا لم تُهذّب انقادت إلى شهواتها فهلكت"، وهو ما يوضح خطورة إهمال التربية الأخلاقية [xxvi].

مثال عملي: مسكويه يشير إلى أن التاجر الذي يلتزم بالصدق والعدالة في عمله، ويتجنب الطمع والجشع، يكون أكثر شعورًا بالطمأنينة والرضا النفسي، أي أنه يمارس تهذيب النفس عمليًا لتحقيق السعادة [xxvii].

المبحث الرابع
وسائل تحقيق السعادة

المطلب الأول
العقل والحكمة كوسائل للسعادة

يضع مسكويه العقل في مقدمة الوسائل لتحقيق السعادة، مشددًا على أن المعرفة والفهم الصحيح للطبيعة الإنسانية والاجتماعية هما الطريق لتحقيق الفضيلة. كما يوضح أن ممارسة التأمل والتفكير العميق تمكن الإنسان من إدراك الحقيقة والتصرف وفقًا لها [xxviii].

ويبرز دور العقل في تحقيق السعادة من خلال قوله: "العقل هو الذي يُصلح النفس ويهديها إلى كمالها"، مما يؤكد أن المعرفة أساس السلوك القويم [xxix].

مثال عملي: الطالب أو الموظف الذي يخطط لأهدافه بدقة، ويفكر بعقلانية قبل اتخاذ قراراته، يحقق نجاحًا شخصيًا واجتماعيًا، ويشعر بسعادة مستمرة لأنها نابعة من ضبط العقل وإدارته للشهوات والعواطف [xxx].

يؤكد هذا القول أن السعادة عند مسكويه ذات طابع عقلي، وأن الإنسان لا يمكن أن يبلغها إلا إذا خضع سلوكه للعقل.

المطلب الثاني
البعد الاجتماعي والصداقة

يرى مسكويه أن الإنسان لا يستطيع تحقيق سعادته منفردًا بالكامل، فالعلاقات الاجتماعية ضرورية لتبادل الدعم المعنوي والأخلاقي. الصداقة الحقيقية، التي تقوم على الفضيلة، تعتبر وسيلة لتعزيز الفضائل الفردية والجماعية [xxxi]. ويؤكد أهمية الصداقة بقوله: "الصديق هو الذي يعين صديقه على بلوغ الخير"، مما يبرز البعد الاجتماعي للسعادة [xxxii]. مثال عملي: الصديق الذي ينصح صاحبه بالابتعاد عن العادات السيئة وممارسة الفضائل يساعده على تهذيب النفس، وبالتالي يحقق كلاهما مستوى أعلى من السعادة [xxxiii]. ويولي مسكويه أهمية كبيرة للصداقة في تحقيق السعادة، حيث يرى أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين، وأن الصديق الحقيقي هو الذي يساعد الإنسان على تحقيق الخير، فيقول:

"الصديق هو الذي يعين صديقه على بلوغ الخير" [xxxiv]. ومن خلال ماتقدم يتضح أن السعادة ليست فردية فقط، بل لها بعد اجتماعي، حيث تتحقق من خلال العلاقات الإنسانية السليمة.

المبحث الخامس
المقارنة بين مسكويه والفلاسفة

المطلب الأول
مسكويه وأرسطو

أرسطو :كما ذكرنا سابقًا، يشترك مسكويه مع أرسطو في مفهوم الفضيلة الوسطى، لكن مسكويه أضاف بعدًا دينيًا وأخلاقيًا إسلاميًا يجعل السعادة مرتبطة بالفضيلة العملية والدين، وليس فقط باللذة العقلية أو الكمال العقلي [xxxv].

يتفق مسكويه مع أرسطو في أن:

- السعادة هي الغاية القصوى
- الفضيلة هي أساس السعادة
- الاعتدال هو الطريق إلى الفضيلة

إلا أنه يختلف عنه في:

- إدخال البعد الديني
- ربط السعادة بالآخرة [xxxvi]

المطلب الثاني
مسكويه والفارابي

الفارابي :يشترك الفيلسوفان في الربط بين العقل والفضيلة والسعادة، لكن الفارابي يركز على المجتمع والمدينة الفاضلة كشرط لتحقيق السعادة، بينما مسكويه يعطي الأولوية للفرد مع الأخذ بعين الاعتبار أثر المجتمع والعلاقات الاجتماعية [xxxvii].

مثال عملي: يمكن تطبيق فلسفة مسكويه على الحياة اليومية، مثل الموظف الذي يوازن بين عمله وعلاقاته مع زملائه، ويحرص على الفضائل في التعامل، فيحقق سعادة فردية وجماعية معًا.

يتفق مسكويه مع الفارابي في:

- ربط السعادة بالكمال الإنساني
- أهمية العقل

لكنه يختلف في:

- تركيزه على الأخلاق الفردية أكثر من السياسة [xxxviii].

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، يمكن التأكيد على أن فلسفة السعادة عند مسكويه تمثل نموذجًا متكاملًا في الفكر الأخلاقي الإسلامي، حيث استطاع أن يقدم تصورًا عميقًا للسعادة بوصفها غاية إنسانية عليا لا تتحقق من خلال اللذات الحسية، بل عبر تهذيب النفس واكتساب الفضائل.

وقد تبين من خلال الدراسة أن مسكويه قد ربط بين السعادة والعقل ربطًا وثيقًا، إذ اعتبر العقل الأداة الأساسية التي توجه الإنسان نحو الخير، وتمكنه من تحقيق التوازن بين قواه النفسية المختلفة. كما أكد على أن الفضيلة تمثل جوهر السعادة، وأن الاعتدال هو الطريق الذي يؤدي إلى تحقيقها.

كما أظهرت الدراسة أن مسكويه قد تأثر بالفلسفة اليونانية، ولا سيما الفكر الأرسطي، إلا أنه لم يكتفِ بالنقل، بل قام بإعادة صياغة هذه الأفكار في إطار إسلامي أخلاقي، حيث أضفى عليها بعدًا دينيًا واضحًا، من خلال ربط السعادة بالكمال الإنساني في الدنيا والآخرة.

ومن ناحية أخرى، أبرز البحث أهمية العوامل الاجتماعية، مثل الصداقة، في تحقيق السعادة، مما يدل على أن السعادة ليست مجرد حالة فردية، بل هي أيضًا ظاهرة اجتماعية تتأثر بالعلاقات الإنسانية.ويمكن تلخيص فلسفة مسكويه في قوله: "كمال الإنسان في أن تصير أفعاله كلها على مقتضى العقل"، وهو ما يعكس جوهر السعادة الحقيقية" .

ويمكن القول إن فلسفة مسكويه في السعادة لا تزال تحتفظ بأهميتها في العصر الحديث، حيث تقدم نموذجًا أخلاقيًا يمكن الاستفادة منه في مواجهة التحديات الأخلاقية المعاصرة، خاصة في ظل انتشار النزعة المادية التي تربط السعادة باللذة فقط.

وفي ضوء ماسبق تظهر دراسة فلسفة السعادة عند مسكويه أن:

1. **السعادة عقلية وأخلاقية ودينية** :فهي ناتجة عن تهذيب النفس وممارسة الفضائل، لا عن اللذات الحسية العابرة.
2. **العقل هو الوسيلة الرئيسية للسعادة** :إذ بواسطته تتحقق الفضائل وتهذيب النفس.
3. **السعادة الفردية والاجتماعية مترابطة** :العلاقات الاجتماعية والصداقة الفضيلة تعزز السعادة الفردية والجماعية.
4. **تطبيق فلسفة مسكويه عملي** :من خلال ممارسات يومية مثل الاعتدال، الصدق، وضبط النفس، يمكن تحقيق سعادة حقيقية مستمرة.

المقترحات :

- إدراج فلسفة مسكويه في المناهج التعليمية لتعزيز التوازن النفسي والأخلاقي للطلاب.
- اعتماد التمارين العملية لتهذيب النفس والسلوكيات الفضيلة في الحياة اليومية.
- إجراء المزيد من الدراسات المقارنة بين الفلاسفة المسلمين وغير المسلمين لتعميق الفهم النظري والتطبيقي للسعادة.

ويوصي البحث بضرورة إعادة قراءة التراث الفلسفي الإسلامي، والاستفادة من مضامينه الأخلاقية في بناء منظومة قيمية متوازنة تسهم في تحقيق السعادة الحقيقية للإنسان.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر الأساسية

1. مسكويه، أحمد بن محمد .(1966) .*تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق* .بيروت: دار مكتبة الحياة.
2. مسكويه، أحمد بن محمد .(1985) .*الفوز الأصغر* .تحقيق: صالح حمدان. بيروت: دار الأندلس.

ثانيًا: المراجع العربية

3. بدوي، عبد الرحمن .(1980) .*تاريخ الفلسفة الإسلامية* .القاهرة: دار النهضة العربية.
4. الفارابي، أبو نصر .(1985) .*آراء أهل المدينة الفاضلة* .بيروت: دار ومكتبة الهلال.
5. ابن سينا، الحسين بن عبد الله .(1998) .*النجاة* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. الجابري، محمد عابد .(1991) .*بنية العقل العربي* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
7. نصر، حسين .(2001) .*الفكر الإسلامي* .القاهرة: مكتبة الشروق.
8. طه، عبد الرحمن .(2006) .*سؤال الأخلاق* .بيروت: المركز الثقافي العربي.
9. إبراهيم، زكريا .(1988) .*مشكلة الأخلاق* .القاهرة: مكتبة مصر.
10. قاسم، محمود .(1990) .*الفلسفة الأخلاقية في الإسلام* .القاهرة: دار المعارف.
11. عبد الله، محمد حسن .(2005) .*الفلسفة الإسلامية* .عمان: دار المسيرة.
12. علي، عبد الحليم محمود .(1995) .*التفكير الفلسفي في الإسلام* .القاهرة: دار المعارف.
13. مدكور، إبراهيم .(1983) .*في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيقه* .القاهرة: دار المعارف.
14. ديب، محمد .(2008) .*الأخلاق في الفكر الإسلامي* .دمشق: دار الفكر.
15. عبد الرحمن، حسن حنفي .(1992) .*من النقل إلى الإبداع* .القاهرة: دار التنوير.

هوامش البحث

(i) **ياقوت الحموي، 1993، ص 382.**
(ii) **مسكويه، 2003، ص 12.**
(iii) **حنا الفاخوري وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، بيروت، 1991، ص 198.**
(iv) **محمد يوسف موسى، 1963، ص 87.**
(v) **أرسطو، 1979، ص 65.**
(vi) **أفلاطون، 1985، ص 112.**
(vii) **محمد عبد الله دراز، 1973، ص 54.**
(viii) **إبراهيم مدكور، مصدر سابق، ص 152.**
(ix) **مسكويه، 1966، ص 78.**
(x) **مسكويه، 1966، ص 78.**
(xi) **محمد يوسف موسى، 1963، ص 102.**
(xii) **حنا الفاخوري وخليل الجر1991، ص 205.**
(xiii) **إبراهيم مدكور، 1983، ص 160.**

(xiv) مسكويه، 1966، ص 85.
(xv) عبد الرحمن بدوي، 1984، ص 220.
(xvi) محمد عبد الله دراز، 1973، ص 61.
(xvii) أرسطو، 1979، ص 72.
(xviii) مسكويه، 1966، ص 80.
(xix) •مسكويه، 1966، ص 110.
(xx) موسى، 1963، ص 123.
(xxi) فاخوري & الجر، 1991، ص 218.
(xxii) بدوي، 1984، ص 225.
(xxiii) مسكويه، 1966، ص 102.
(xxiv) مسكويه، مصدر سابق، ص 115.
(xxv) مسكويه، 1966، ص 120؛ مدكور، 1983، ص 165.
(xxvi) مسكويه، 1966، ص 120.
(xxvii) درّاز، 1973، ص 72.
(xxviii) مسكويه، 1966، ص 140.
(xxix) مسكويه، 1966، ص 140.
(xxx) بدوي، 1984، ص 230.
(xxxi) مسكويه، 1966، ص 155.
(xxxii) مسكويه، 1966، ص 155.
(xxxiii) أفلاطون، 1985، ص 130.
(xxxiv) مسكويه، 1966، ص 155.
(xxxv) مسكويه، 1966، ص 102؛ أرسطو، 1979، ص 72.
(xxxvi) بدوي، 1980، ص 215.
(xxxvii) مسكويه، 1966، ص 155؛ الفارابي، 1972، ص 88.
(xxxviii) الفارابي، 1985، ص 89.

Miskawayh's Philosophy of Happiness: A Comparative Analytical Study in Light of Islamic Ethical Thought

Dr. Sudair Tariq Ali
College of Basic Education / Al-Mustansiriya University

Abstract

This research examines the philosophy of happiness in the thought of Miskawayh by analyzing its ethical and intellectual foundations. It highlights the relationship between happiness, virtue, and self-discipline, and compares his views with those of Aristotle and Al-Farabi. The study adopts analytical and comparative approaches and concludes that happiness, according to Miskawayh, is not sensory pleasure but an intellectual and moral state achieved through virtue and moderation.

Keywords : Al-Miskaway , Philosophy of Happiness , Islamic Ethics , Virtues . Self-Discipline . Reason and Psychological Balance